

الفصل الرابع

من خطب أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضي الله عنه
وأهم وصاياه

من خطب الإمام علي بن أبي طالب - بكرم الله وجهه - :

(١) خطبته لما بويع بالخلافة

وكان علي رضي قد بويع بالخلافة يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة. فخطب الناس. وحمد الله. وأثنى عليه، ثم قال :

« إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَخُذُوا بِالْخَيْرِ وَدَعُوا الشَّرَّ: الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ أَدُوها إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ. إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حُرْمَاتٍ غَيْرَ مَجْهُولَةٍ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحَرَمِ كُلِّهَا. وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حَقُوقَ الْمُسْلِمِينَ: فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ، لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِمَا يَجِبُ. بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَةِ وَخَاصَةَ أَحَدِكُمْ الْمَوْتَ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّمَا خَلْفَكُمْ السَّاعَةُ تَحْدُوكُمْ (١) فَخَفِّقُوا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ بِالنَّاسِ أَخْرَاهُمْ. اتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فِي بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ، إِنَّكُمْ مَسْنُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالبِهَانِمِ، أَطِيعُوا اللَّهَ فَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَدَعُوهُ ..

﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٢)



(١) تحذوكم : تتبعكم. يقال : حدا الليل النهار. أى : تبعه.

(٢) سورة الأنفال : ٢٦.

(٢) خطبة لسيدنا علي في الحث على العمل والإخلاص

وخطب عليه السلام أيضاً فقال - بعد حمد الله والثناء عليه - :

«أما بعد .. فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم وغداً السباق. ألا وإنكم في أيام أملٍ من ورائها أجلّ، فمن أخلص في أيام أمهٍ فقد فاز، ومن قصر (١) في أيام أمهٍ قبل حضور أجله، فقد خسر عمله وضره أمه. ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة. ألا وإنّي لم أر كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها. ألا وإنه من لم ينفعه الحق يضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى يجور به الضلال. ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن (٢) ودللتم على الزاد. ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم الهوى وطول الأمل».

[ذكره أبو بكر الباقلاني في «إعجاز القرآن»]



(١) قَصَرَ عن الأمر قصوراً، أى: عجز عنه، أو كَفَّ عنه. وأقصرَ عن الشيء: كَفَّ ونزَع عنه وهو يقدر عليه. وقَصَرَ في الأمر: تهاون فيه. {المعجم الوسيط (٢/٧٣٨)}.

(٢) الظعن: السير، أو السفر والرحيل؛ والمراد به رحلة الحياة الدنيا وصولاً إلى الآخرة.

(٣) خطبة لسيدنا علي في التقوى

وخطب عليه السلام أيضاً، فقال بعد حمد الله :

« أَيُّهَا النَّاسُ .. اتَّقُوا اللَّهَ، فَمَا خَلِقَ أَمْرًا عَبَثًا فَيَلْهَمُوهُ، وَلَا أَمَلًا
سُدَى فَيَلْفُوهُ، مَا دُنْيَاهُ الَّتِي تَحَسَّنْتَ إِلَيْهِ بِخَلْفٍ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِي قَبَّحَهَا
سَوْءُ النَّظَرِ إِلَيْهَا، وَمَا الْخَسِيسُ الَّذِي ظَفَرَ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ
كَالْآخِرِ الَّذِي ظَفَرَ بِهِ مِنَ الْآخِرَةِ مِنْ سَهْمَتِهِ (١) .. »

[ذكره أبو بكر الباقلااني في «إعجاز القرآن»]



(٤) خطبة لسيدنا علي في الهوى والأمل

وعن مهاجر بن عمير، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال:

« إِنِّ أَخُوفٌ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعَ الْهَوَىٰ وَطُولَ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ
الْهَوَىٰ فَيَصِدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طَوْلُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا
قَدْ تَرَحَّلَتْ مَدْبِرَةً، أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ تَرَحَّلَتْ مَقْبَلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أِبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أِبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ
عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ .. »

[ذكره أبو نعيم في «الحلية»]



(١) السهمة - بضم فسكون - : النصيب.

(٥) خطبة جامعة لعلی رضي الله عنه

وقال عيسى بن دآب : لما انصرف على رضي الله عنه من النهروان (١) قام في الناس خطيباً، فقال :

«الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ الْخَلْقِ، وَفَالِقِ الْإِصْبَاحِ، وَنَاشِرِ الْمَوْتَى، وَيَاعِثِ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَأُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْعَبْدُ: الْإِيمَانُ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا مِنْ فَرِيضَتِهِ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنْ عَذَابِهِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ فَإِنَّهُ مَنَافَاةٌ لِلْفَقْرِ، مَدْحَضَةٌ لِلذَّنْبِ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْأَمْلِ، مَنْسَاةٌ فِي الْأَجْلِ، مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ فَإِنَّهَا تُكْفِرُ الْخَطِيئَةَ، وَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصُنْعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهُ يَدْفَعُ مِيتَةَ السَّوِّءِ، وَيَقِي مَصَارِعَ الْهَوْلِ. أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ. وَارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فَإِنَّ وَعْدَ اللَّهِ أَصْدَقُ الْوَعْدِ، وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ، وَاسْتَنْتُوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ السُّنَنِ، وَتَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ،

(١) النهروان : بلد على نحو أربعة فراسخ من بغداد.

وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْقَصَصِ، وَإِذَا قُرئَ عَلَيْكُمْ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، وَإِذَا هُدِيتُمْ لَعَلَّكُمْ فَاعْمَلُوا بِمَا عَلَّمْتُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، فَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَقِيمُ عَنْ جَهْلِهِ، بَلْ قَدْ رَأَيْتُ أَنَّ الْحُجَّةَ أَعْظَمَ وَالْحَسْرَةَ أَدْوَمَ عَلَى هَذَا الْعَالِمِ الْمَنْسَلَخِ مِنْ عِلْمِهِ، مِنْ هَذَا الْجَاهِلِ الْمَتَجَبِّرِ فِي جَهْلِهِ، وَكِلَاهُمَا مُضَلَّلٌ مَثْبُورٌ^(١). لَا تَرْتَابُوا فَتَشْكُوا، وَلَا تَشْكُوا فَتَكْفُرُوا، وَلَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبُوا وَلَا تَذْهَبُوا فِي الْحَقِّ فَتَخْسَرُوا. أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْحَزْمِ أَنْ تَتَّقُوا، وَمِنْ الثِّقَةِ أَلَّا تَغْتَرُّوا، وَإِنَّ أَنْصَحَكُمْ لِنَفْسِهِ أَطْوَعَكُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَعْشَمَكُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاكُمْ لِرَبِّهِ. مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ يَأْمَنُ وَيَسْتَبِشِرُ، وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ يَخْفُ وَيَنْدَمُ. ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ الْيَقِينَ، وَارْغَبُوا إِلَيْهِ فِي الْعَافِيَةِ. وَخَيْرُ مَا دَامَ فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ. إِنَّ عَوَازِمَ^(٢) الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا، وَإِنَّ مُحَدَّثَاتِهَا شَرَّارُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ مُحَدَّثٍ^(٣) مُبْتَدِعٌ، وَمَنْ ابْتَدَعَ فَقَدْ ضَيَّعَ، وَمَا أَحْدَثَ مُحَدَّثٌ بَدْعَةً إِلَّا تَرَكَ بِهَا سُنَّةً، وَالْمَغْبُوبُونَ مِنْ غَيْبِ دِينِهِ^(٤)، وَالْمَغْبُوبُونَ مِنْ خَسْرِ نَفْسِهِ. وَإِنَّ الرِّيَاءَ مِنَ الشَّرِّكَ، وَإِنَّ الْإِخْلَاصَ مِنَ الْعَمَلِ وَالْإِيمَانِ. وَمَجَالِسُ اللَّهْوِ تُنْسَى الْقُرْآنَ، وَيَحْضُرُهَا الشَّيْطَانُ، وَتَدْعُو إِلَى كُلِّ غِيٍّ. وَمُجَالِسَةُ النِّسَاءِ تُزِيغُ الْقُلُوبَ، وَتَطْمَحُ إِلَيْهَا

(١) مثبور: هالك. والثبور: الهلاك والخسران. (٢) العوازم: جمع عزيمة. وهي الفريضة.

(٣) محدث: الأولى بفتح الدال، والثانية بكسرهما.

(٤) غيب: من باب ضرب. يقال: غيبه. أي: نقصه.

الأبصار، وهُنَّ مَصَانِدُ الشَّيْطَانِ. فَاصْدُقُوا اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ مَنْ صَدَقَ،
وَجَانِبُوا الكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ مُجَانِبٌ لِلإِيمَانِ. أَلَا وَإِنَّ الصِّدْقَ عَلَى
شَرَفٍ (١) مِنْجَاةٌ وَكِرَامَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ عَلَى شَرَفٍ رَدِيءٍ وَهَلَكَةٌ. أَلَا
وَقُولُوا الحَقَّ تَعْرِفُوا بِهِ، وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ، وَأَدُّوا الأَمَانَةَ إِلَى
مَنْ انْتَمَنَكُمْ، وَصَلُّوا أَرْحَامَ مَنْ قَطَعَكُمْ، وَعُودُوا بِالْفَضْلِ عَلَى مَنْ
حَرَمَكُمْ، وَإِذَا عَاهَدْتُمْ فَأَوْفُوا، وَإِذَا حَكَمْتُمْ فَاعْدِلُوا، وَلَا تَفَاخَرُوا بِالآبَاءِ،
وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ (٢) وَلَا تَمَازَحُوا، وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَأَعِينُوا
الضَّعِيفَ وَالْمَظْلُومَ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ
وَفِي الرِّقَابِ، وَارْحَمُوا الأَرْمَلَةَ (٣) وَاليَتِيمَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، وَرُدُّوا
التَّحِيَّةَ عَلَى أَهْلِهَا بِمِثْلِهَا أَوْ بِأَحْسَنِ مِنْهَا.. ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ
وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
العِقَابِ﴾ (٤)، وَأَكْرِمُوا الضَّعِيفَ، وَأَحْسِنُوا إِلَى الْجَارِ، وَعُودُوا المَرْضَى،
وَشَيَعُوا الجَنَائِزَ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا.

أَمَّا بَعْدُ .. فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أُدْبِرَتْ وَأَذْنَتْ بُودَاعَ، وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَظَلَّتْ

(١) عَلَى شَرَفٍ - بفتح حين - : أى: عَلَى رغبة فِيهِ.

(٢) مِنَ التَّنَابُزِ، وَهُوَ التَّدَاعَى بِالنَّبْزِ - بفتح حين - وَهُوَ لِقَبِ السُّوءِ، كَفَاسِقٍ وَجَاهِلٍ، أَى: لَا يَدْعُو

بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَا يَسُوؤُهُ.

(٣) سُورَةُ المَائِدَةِ : ٢.

(٤) أَى: المَرْأَةَ الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا.

وأشرفتُ باطلاع، وإنَّ المضمَارَ اليومَ وغداَ السَّبَاقُ، وإنَّ السَّبَقَةَ الجَنَّةُ،
والغَايَةَ النَّارُ. أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلٍ، مِنْ وِرَانِهَا أَجَلٌ يَحْتُسُّهُ عَجَلٌ،
فَمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ عَمَلَهُ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ، فَقَدْ أَحْسَنَ عَمَلَهُ،
وَنَالَ أَمَلَهُ، وَمَنْ قَصَرَ عَنِ ذَلِكَ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ، وَخَابَ أَمَلُهُ، وَضُرَّهُ
أَمَلُهُ، فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، فَإِنَّ نَزَلَتْ بِكُمْ رَغْبَةٌ فَاشْكُرُوا اللَّهَ
وَاجْمَعُوا مَعَهَا رَهْبَةً، وَإِنْ نَزَلَتْ بِكُمْ رَهْبَةٌ فَاذْكُرُوا اللَّهَ وَاجْمَعُوا مَعَهَا
رَغْبَةً، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَأَدَّنَ - أَيْ: أَعْلَمَ وَوَعَدَ - الْمُسْلِمِينَ بِالْحُسْنَى، وَمَنْ
شَكَرَ بِالزِّيَادَةِ، وَاتَى لَمْ أَرْ مِثْلَ الْجَنَّةِ نَامٌ طَالِبُهَا وَلَا كَالنَّارِ نَامٌ هَارِبُهَا،
وَلَا أَكْثَرَ مَكْتَسِبًا مِنْ شَيْءٍ كَسَبَهُ لِيَوْمٍ تَدَخَّرُ فِيهِ الذَّخَائِرُ، وَتَبْلَى فِيهِ
السَّرَائِرُ^(١) وَتَجْتَمِعُ فِيهِ الْكِبَائِرُ، وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ،
وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى يَجُورُ بِهِ الضَّلَالُ، وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْيَقِينُ يَضُرُّهُ
الشُّكُّ، وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُهُ فَعَازِيَهُ عَنْهُ أَعْوَرُ^(٢) وَغَانِيَهُ عَنْهُ أَعْجَزُ،
وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظُّعْنِ، وَدُلَلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، أَلَا وَإِنْ أَخُوفَ مَا أَخَافُ
عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: طَوْلُ الْأَمَلِ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى، فَأَمَّا طَوْلُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي
الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيُبْعِدُ عَنِ الْحَقِّ. أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَرَحَّلَتْ
مُدْبِرَةً، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ تَرَحَّلَتْ مُقْبِلَةً، وَلَهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ

(١) أَيْ: تَظْهَرُ وَتَبْدُو وَيَصِيرُ السَّرَّ عِلَانِيَةً.

(٢) الْعَازِبُ: الْبَعِيدُ. أَيْ: مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِحَاضِرِهِ لَا يَسْتَفِيدُ مِنَ الْغَائِبِ.

الآخِرَةَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ بَنِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ» .

[ذكره ابن كثير في «البداية»]



(٦) خطبة أخرى جامعة لسيدنا علي

وخطب الإمام عليٌّ - كرم الله وجهه - في سنة ٤٠ هـ، فقال :
«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحًا لَذِكْرِهِ، وَسَبَبًا لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ،
وَدَلِيلًا عَلَى آيَاتِهِ وَعَظَمَتِهِ» .

عبادَ اللهِ .. إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِيْنَ كَجَرِيهِ بِالْمَاضِيْنَ، لَا يَعُودُ مَا
قَدْ وُلِيَ مِنْهُ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَدًا مَا فِيهِ (١)، آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُتَسَابِقَةٌ
أُمُورُهُ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ .. فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حُدُوءَ الزَّاجِرِ
بِشَوْلَةٍ (٢)، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِي
الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيْطَانِيْنُهُ فِي طَغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ،
فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِيْنَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمَفْرُطِيْنَ .

اعلموا - عبادَ اللهِ - أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيْزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ

(٢) أى: تسوقكم سوق الزاجر لإبله لتسير.

(١) السرمد: الدائم.

ذليل لا يمنع أهله، ولا يحرز من لجأ إليه. ألا بالتقوى تُقطع حمة^(١) الخُطايا، وباليقين تُدرِك الغاية القُصوى.

عبادَ الله .. الله الله في أعزِّ الأنفس عليكم، وأحبِّها إليكم، فإنَّ الله قد أوضح لكم سبيلَ الحقِّ، وأتارَ طُرُقَه، فشقوةٌ لازمةٌ، أو سعادةٌ دائمةٌ، فتزوّدوا في أيامِ الفناءِ لأيامِ البقاءِ، قد دلّتم على الزادِ، وأمّرتُم بالظعنِ، وحثّثتم على السيرِ، فإنما أنتم كركبٍ وقوفٍ لا تدرّون متى تؤمرون بالسيرِ. ألا فما يصنعُ بالذُنيا من خُلقٍ للأخرةِ، وما يصنعُ بالمالِ من عَمَّا قليلٍ يُسلِّبُه وتبقى عليه تبعتهُ وحسابُه.

عبادَ الله .. إنه ليسَ لما وعدَ اللهُ من الخيرِ متركٌ، ولا فيما نهى عنه من الشرِّ مرغَبٌ.

عبادَ الله .. احذروا يوماً تُفحصُ فيه الأعمالُ، ويكثرُ فيه الزلزالُ، وتَشيبُ فيه الأطفالُ.

اعلموا - عبادَ الله - أنَ عليكم رَصداً من أنفسِكُم، وعيوناً من جوارِحِكُم، وحُفَاطَ صِدقٍ يحفظون أعمالَكُم، وعددَ أنفاسِكُم، لا تَسترَكُم منهم ظلمةٌ ليلٍ داجٍ^(٢) ولا يَكُنْكُمْ مِنْهُم بَابٌ ذُو رِتاَجٍ^(٣) وإنَّ غداً من

(١) حمة الشيء: ضرره وشره.

(٢) الداجي: المظلم.

(٣) رتاَج - بكسر الراء - : الباب العظيم، أو الباب المغلق.

اليوم قريباً، يذهب اليوم بما فيه، ويجيء الغد لاحقاً به، فكان كلُّ امرئٍ منكم قد بلغ من الأرضِ منزلَ وحدتهِ، ومخطَّ حفرتهِ، فيآله من بيتٍ وحدةٍ، ومنزلٍ وحشةٍ، ومفردٍ غربةٍ، وكان الصيحةُ قد أتتكم، والساعةُ قد غشيتكم، وبرزتم لفصلِ القضاءِ، قد زاحت عنكم الأباطيلُ، واضمحت عنكم العللُ، واستحقت بكم الحقائقُ، وصدرت بكم الأمورُ مصادرها، فاتعظوا بالغيرِ، واعتبروا بالغيرِ، وانتفعوا بالنُّذرِ .



(٧) خطبة له في الحث على العمل الصالح

وروى ابن عساكر أن علياً رضي الله عنه حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال :

« أما بعد .. فإن المضمارَ اليومَ وغداً السَّباقُ ، ألا وإنكم في أيامِ عملٍ من ورائه أجلٌ ، فمن قصرَ في أيامِ أمله قبلَ حضورِ أجله ، فقد خيبَ عمله ، ألا فاعملوا لله في الرغبةِ كما تعملون له في الرهبةِ ، ألا وإنى لم أرَ كالجنةِ نامَ طالبُها ، ولم أرَ كالنارِ نامَ هارِبُها ، ألا وإن من لم ينفعه الحقُّ ضرَّهُ الباطلُ ، ومن لم يستقم به الهدى جار به الضلالُ ، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعنِ ، ودلتم على الزادِ .

ألا أيها الناسُ .. إنما الدنيا عرضٌ حاضرٌ ، يأكلُ منها البرُّ والفاجرُ ، ألا وإن الآخرةَ وعدٌ صادقٌ ، يحكم فيها ملكٌ قادرٌ . ألا إن الشيطانَ

يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ، وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا، وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ.. أَحْسِنُوا فِي عُمْرِكُمْ، تَحْفَظُوا فِي عَقَبِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ -
تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَعَدَ جَنَّتَهُ مَنْ أَطَاعَهُ، وَأَوْعَدَ نَارَهُ مَنْ عَصَاهُ، إِنَّهَا نَارٌ
لَا يَهْدَأُ زَفِيرُهَا، وَلَا يُفَكُّ أَسِيرُهَا، حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَمَاؤُهَا
صَدِيدٌ.. وَإِنَّ أَخُوفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ.. الْآ
لَا يَسْتَحَى الرَّجُلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَلَا مَنْ يُسْأَلُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ :
لَا أَعْلَمُ . .



(٨) خطبة له في الخوف واغتنام الفرص

وروى الخفاف في مشيخته أن علياً رضي الله عنه خطب، فقال :

« حَمَدْتُ وَعَظَّمْتُ مَنْ عَظَّمَتْ مِنْهُ (١)، وَسَبَقْتُ غَضِبَهُ رَحْمَتُهُ،
وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ، وَنَفَذَتْ مَشِيئَتُهُ ؛ حَمْدَ عَبْدٍ مَقْرُبٍ بِرَبِّوَيْتِهِ، مَتَخَضِعٍ
لِعِبُودِيَّتِهِ، وَيَسْتَعِينُهُ وَيَسْتَرْشِدُهُ، وَيَسْتَهْدِيهِ وَيُؤْمِنُ بِهِ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ،
وَشَهِدْتُ لَهُ تَشَهُدَ مُخْلِصٍ مُوقِنٍ، وَبِعِزَّتِهِ مُؤْمِنٍ، وَوَحَّدْتُ لَهُ تَوْحِيدَ عَبْدٍ

(١) عظمت : الأولى بفتح العين وتشديد الظاء مع فتحها وتسكين الميم وضم التاء. والثانية بفتح
العين وضم الظاء وفتح الميم وتسكين التاء، والمثنى جمع مئة، وهي النعمة.

مذعن، ليس له شريك في ملكه، ولم يكن له ولي في صنعته، جلَّ
 عن مشيرٍ ووزيرٍ، وعن عونٍ معيرٍ ونظيرٍ. وشهدت بيعة محمد عبده
 ورسوله، وصفيه ونيبه، وحبيبه وخليله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
 صلاة تحظيه، وتزلفه وتعليه، وتقربه وتدنيه، بعثه في خير عصرٍ،
 وحين فترة^(١) وكفرٍ، رحمة منه لعبيده، ومنة لمزيده، ختم به نبوته،
 وأوضح به حجته، فوعظ ونصح، وبلغ وكدح^(٢)، عليه رحمة وتسليم،
 وبركة وتكريم.

وصيبتكم - معشر من حضرنى - بوصية ربكم، وذكركم سنة نبيكم
 فعليكم برهبة تسكن قلوبكم، وخشية تدرى دموعكم، وتقية تنجيكم قبل
 يوم يذهلكم ويبيدكم، يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته، وخف وزن
 سيئته، ولتكن مسألتكم وتملقكم مسألة ذل وخضوع، وشكر وخشوع،
 وتوبة ونزوع، وندم ورجوع، وليغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سقمه،
 وشبيبته قبل هرمه وكبره، وسعته قبل فقره، وفرغته قبل شغله، قبل
 أن تجذب نفسه، ويحفر رمسه^(٣)، وينفخ في الصور، ويدعى للنشور
 في موقف مهيل^(٤)، ومشهد جليل، بين يدي ملك عظيم - بكل صغيرة
 وكبيرة - عليم. حينئذ يلجمه عرقه، فعبرته غير مرحومة^(٥) وضرعته
 غير مسموعة، وحجته غير مقبولة فورد جهنم بكرب وشدة ندم، حيث

(١) الفترة - بفتح فسكون - زمن انقطاع البعث.

(٢) الكدح : العمل والكد.

(٣) الرمس - بفتح فسكون - : فى الأصل : التراب، ثم أريد به القبر.

(٤) مهيل : مخيف.

(٥) العبرة - بفتح فسكون - : الدمعة قبل أن تفيض من العين، أو تردد البكاء فى الصدر، أو

الحزن بلا بكاء.

لم ينفعه ندمه، نعوذُ بربِّ قديرٍ من شرِّ كلِّ مصيرٍ، ونسأله عفوً من رضى عنه، ومغفرةً من قبلِ منه، فمن زُحزح عن تعذيبِ ربه، جعل في جنةٍ بقربه.. وخُلد في قصورٍ مشيدةٍ (١) .. وملك.. وحوارٍ عين.. وحفدةٍ (٢) .. وطيفَ عليه بكؤوس.. وسكن حظيرته.. وقُدس في فردوسٍ (٣) .. وتقلب في نعيمٍ .. وسقى من تسنيمٍ (٤) . هذه منزلةٌ من خشى ربه، وحذر نفسه، وتلك عقوبةٌ من عصى منشئه وسوّلت له نفسه معصيته، لهو قول فصل، وحكم عدل، خير قصص قص، ووعظ نص، تنزيل من حكيم حميد، نزل به روح قدس (٥) على قلب نبي مهتدٍ رشيد، حلت عليه سفرة (٦) مكرمون بررة، فليتضرع متضرعكم، ويبتهل مبتهلکم .. وأستغفر ربَّ كلِّ مريبٍ لى ولكم ...

ثم قرأ: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٧)



- (١) جمع مشيد كمؤيد. أى : مطول ومرنفع. (٢) اخنذة : جمع حافد. وهو الخادم.
(٣) الفردوس : أعلى درجات الجنة وأوسطها. أى : أفضلها وخيرها.
(٤) التسنيم : شراب أهل الجنة.
(٥) روح القدس - بضم الراء والقاف والذال وسكون الواو - : جبريل . والقدس فى الأصل : الطهر.
(٦) سفرة : جمع سافر. وهو الكاتب.
(٧) سورة القصص : ٨٣.

(٩) خطبة له في الرجاء والخوف والتعلم والصبر

وخطب ﷺ أيضاً فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ .. احْفَظُوا عَنِّي خَمْسًا فَلَوْ شَدَدْتُمْ إِلَيْهَا الْمَطَايَا حَتَّى تَضُنُّوهَا لَمْ تَظْفَرُوا بِمِثْلِهَا :

أَلَا لَا يَرْجُونَ أَحَدَكُمْ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافُونَ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَلَا يَسْتَحْي أَحَدَكُمْ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ يَتَعَلَّمْ، وَإِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمْ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ.

أَلَا وَإِنَّ الْخَامِسَةَ الصَّبْرَ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ. مَنْ لَا صَبْرَ لَهُ لَا إِيمَانَ لَهُ، وَمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ لَا جَسَدَ لَهُ، وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ إِلَّا بِتَدْبِيرٍ، وَلَا فِي عِبَادَةٍ إِلَّا بِتَفْكِيرٍ، وَلَا فِي حِلْمٍ إِلَّا بِعِلْمٍ. أَلَا أَنْبِئَكُمْ بِالْعَالِمِ كُلِّ الْعَالِمِ؟

مَنْ لَا يُزَيِّنُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ مَعَاصِيَ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْمَنْهُمْ مَكْرَهُ، وَلَمْ يُيْنَسِهِمْ مِنْ رَوْحِهِ (١).

وَلَا تُنْزَلُوا الْمَطْبِيعِينَ الْجَنَّةِ، وَلَا الْمَذْنِبِينَ الْمُوَحَّدِينَ النَّارَ حَتَّى يَقْضَى اللَّهُ فِيهِمْ بِأَمْرِهِ.

لَا تَأْمَنُوا عَلَى خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ :

﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢).

(١) الروح - بفتح فسكون - : الرحمة. (٢) سورة الأعراف : ٩٩.

وَلَا تَقْنَطُوا شَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) . .

[ذكره في «العقد الفريد»]



(١٠) خطبة له في الدعوة إلى الجهاد

فقد بدأ ﷺ بحمد الله، والثناء عليه، ثم قال :

«إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَكُمْ بِدِينِهِ، وَخَلَقَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، فَأَنْصِبُوا أَنْفُسَكُمْ فِي أَدَاءِ حَقِّهِ، وَتَنْجِزُوا مَوْعِدَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ أَمْرَاسَ (٢) الْإِسْلَامِ مَتِينَةً، وَعَرَاهُ وَثِيقَةً، ثُمَّ جَعَلَ الطَّاعَةَ حِطًّا لِلْأَنْفُسِ وَرِضًا لِلرَّبِّ، وَغَنِيمَةً الْأَكْيَاسِ (٣) عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعِجْزَةِ، وَقَدْ حَمَلْتُ أَمْرَ أَسْوَدِهَا وَأَحْمَرِهَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَنَحْنُ سَائِرُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ (٤) وَتَنَاوَلَ مَا لَيْسَ لَهُ، وَمَا لَا يُدْرِكُهُ، مَعَاوِيَةَ وَجُنْدَهُ، الْفَنَةَ الطَّاعِيَةَ الْبَاغِيَةَ، يَقُودُهُمْ إِبْلِيسُ، وَيَبْرِقُ لَهُمْ بِيَارِقِ تَسْوِيفِهِ، وَيُدْلِيهِمْ (٥) بِغُرُورِهِ، وَأَنْتُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، فَاسْتَعْنُوا بِمَا عَلِمْتُمْ، وَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَارْغَبُوا فِي مَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَجْرِ وَالْكَرَامَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَسْلُوبَ مِنْ سُلْبِ دِينِهِ وَأَمَانَتِهِ، وَالْمَغْرُورَ

(١) سورة يوسف : ٨٧.

(٢) جمع مرس. بفتحين: وهو الحبل.

(٣) جمع كيس، وهو ضد الأحمق.

(٤) أصله: سفتت نفسه.

(٥) أى: يحطهم عن منزلتهم.

مَنْ آثَرَ الضَّلَالَةَ عَلَى الْهُدَى.. فَلَا أَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ تَقَاعَسَ (١) عَنِّي،
وقال: فِي غَيْرِي مِغْفَايَةَ. فَإِنَّ الذُّودَ إِلَى الذُّودِ إِبِلٌ (٢)..
وَمَنْ لَا يَذُدُّ عَن حَوْضِهِ يَتَهَدَّمُ

ثم إنني أمركم بالشدة في الأمر، والجهاد في سبيل الله، وأن لا
تغتابوا مسلماً، وانتظروا النصر العاجل من الله، إن شاء الله .



(١١) وخطبة له في التحريض على القتال

وخطب الإمام على - كرم الله وجهه - أصحابه ، متوكئاً على قوسه ،
وقد جمع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - عنده، فهم يلونه -
كأنه أحب أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه - فحمد الله، وأثنى
عليه، وقال :

« أَمَا بَعْدُ.. فَإِنَّ الْخِيَلَاءَ (٣) مِنَ التَّجْبِرِ، وَإِنَّ النَّخْوَةَ (٤) مِنَ التَّكْبِيرِ،
وَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ حَاضِرٌ، يَعِدْكُمْ الْبَاطِلَ. أَلَا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ،
فَلَا تَنَابَزُوا.. وَلَا تَخَاذَلُوا.. أَلَا إِنَّ شُرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ.. وَسُبُلُهُ

(١) أي: تأخر وتقاعد.

(٢) الذود: ثلاثة أبعرة إلى العشرة أو خمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين، وهو مثل، أي: إذا اجتمع

القليل مع القليل صار كثيراً، فإلى بمعنى: مع.

(٣) أي: الكبر. (٤) المراد: الافتخار والتعظيم.

قَاصِدَةٌ (١) .. مَنْ أَخَذَ بِهَا لِحْقَ (٢) .. وَمَنْ فَارَقَهَا مَحَقَ (٣) .. وَمَنْ تَرَكَهَا مَرَقَ (٤) ، لَيْسَ الْمُسْلِمُ بِالْخَائِنِ إِذَا أُوْتِمِنَ ، وَلَا بِالْمُخْلَفِ إِذَا وَعِدَ ، وَلَا بِالْكَذَّابِ إِذَا نَطَقَ ، نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ الرَّحْمَةِ ، وَقَوْلُنَا الصَّدْقُ ، وَفِعْلُنَا الْفَضْلُ ، وَمَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَفِينَا قَادَةُ الْإِسْلَامِ ، وَفِينَا حَمَلَةُ الْكِتَابِ . أَلَا إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَى جِهَادِ عَدُوِّهِ ، وَالشَّدَةِ فِي أَمْرِهِ ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحُجِّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَتَوْفِيرِ الْفِيءِ عَلَى أَهْلِهِ .

أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ الْأُمَوِيَّ ، وَعَمْرُو بْنَ الْعَاصِ السَّهْمِيَّ ، أَصْبَحَا يُحْرَضَانِ النَّاسَ عَلَى طَلْبِ الَّذِينَ يَزَعُمُهُمَا ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَمْ أَخَالَفُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - قَطُّ ، وَلَمْ أَعْصِهِ فِي أَمْرٍ ، أَقْبَهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي يَنْكُصُ (٥) فِيهَا الْأَبْطَالُ ، وَتَرَعُدُ فِيهَا الْفَرَانِصُ (٦) ، بِنَجْدَةِ أَكْرَمِنِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهَا وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَلَقَدْ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَإِنَّ رَأْسَهُ فِي حَجْرِي ، وَلَقَدْ وَلِيْتُ غُسْلَهُ بِيَدِي وَحَدِي تَقْلِبُهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ مَعِي .

(١) القصد : استقامة الطريق . (٢) أي : إدراك رضا الله وثوابه .

(٣) أي : ذهب بتركه . (٤) أي : خرج عن الدين .

(٥) نكص عن الأمر : أحجم عنه .

(٦) جمع فريضة : وهي لحمية بين الجنب والكتف لا تزال ترعد .

وَأَيُّمُ اللَّهِ مَا اخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ قَطُّ بَعْدَ نَبِيِّهَا، إِلَّا ظَهَرَ أَهْلُ بَاطِلِهَا عَلَى أَهْلِ حَقِّهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ.

[شرح ابن أبي الحديد (١/ ٤٨١)]



(١٢) خطبة أخرى له رضي الله عنه

وروى أن الإمام علياً رضي الله عنه قال في هذه الليلة :

« حَتَّى مَتَى لَا نَنَاهِضُ الْقَوْمَ بِأَجْمَعِنَا؟ . ففَاقَمَ فِي النَّاسِ، فَقَالَ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْرُمُ مَا نَقَضَ، وَلَا يُنْقِضُ مَا أَبْرَمَ، وَلَوْ شَاءَ مَا

اِخْتَلَفَ اثْنَانِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا تَنَازَعَ الْبَشَرُ فِي شَيْءٍ

مِنْ أَمْرِهِ، وَلَا جَدَدِ الْمَفْضُولِ ذَا الْفَضْلِ فَضْلُهُ، وَقَدْ سَاقَتْنَا وَهَوْلَاءَ الْقَوْمِ

الْأَقْدَارُ حَتَّى لَفَتُ بَيْنَنَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَنَحْنُ مِنْ رَبِنَا بِمَرَأَى وَمَسْمَعِ،

وَلَوْ شَاءَ لَعَجَّلَ النِّقْمَةَ، وَلَكَانَ مِنْهُ النَّصْرُ، حَتَّى يُكْذِبَ (١) اللَّهُ الظَّالِمَ،

وَيُعَلِّمَ الْمُحَقَّقَ أَيْنَ مَصِيرِهِ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ الْأَعْمَالِ، وَالْآخِرَةَ دَارَ

الْجَزَاءِ وَالْقَرَارِ؛ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ

أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (٢) أَلَا إِنَّكُمْ مُلَاقُوا الْعَدُوِّ غَدًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -

(١) يكذب: بضم الياء وفتح الكاف وكسر الذال مع التشديد. (٢) سورة النجم: ٣١ .

فَأَطِيلُوا اللَّيْلَةَ الْقِيَامَ، وَأَكْثَرُوا تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الصَّبْرَ وَالنَّصْرَ،
وَالْقَوْمَ بِالْجِدِّ وَالْحَزْمِ، وَكُونُوا صَادِقِينَ.

[شرح ابن أبي الحديد (١/ ٤٨١) وتاريخ الطبري (٦/ ٧)]



(١٣) وخطبة أخرى له رضي

وخطب الإمام على رضي ذلك اليوم أيضاً، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ.. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ، قَدْ دَلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنَ
العَذَابِ، وَتُشْفِي^(١) بِكُمْ عَلَى الْخَيْرِ، إِيمَانٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَجِهَادٍ فِي
سَبِيلِهِ، وَجَعَلَ ثَوَابَهُ مَغْفِرَةَ الذَّنُوبِ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ،
وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ، وَأَخْبِرْكُمْ بِالَّذِي يُحِبُّ، فَقَالَ:
« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ
مُرْصُوصٌ »^(٢).

فَسَوُّوا صَفُوفَكُمْ كَالْبُنْيَانِ الْمُرْصُوصِ، وَقَدِّمُوا الدَّارِعَ، وَأَخْرُوا
الحَاسِرَ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسَّيْفِ عَنِ الْهَامِ، وَأَرَبَطُ
لِلجَاشِ، وَأَسْكَنُ لِلقُلُوبِ. وَأَمِيتُوا الأصْوَاتِ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلفِشْلِ، وَأُولَى

(١) أشفى عليه : أشرف.

(٢) سورة الصف : ٤.

بالوقار، والتوا في أطراف الرماح، فإنه أمور^(١) للأسنة. ورايتكم فلا
تُميلوها، ولا تُزِيلوها، ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم، المانعي
الذمار^(٢)، والصبر عند نزول الحقائق، أهل الحفاظ الذين يخفرون^(٣)
برايتم ويكنفونها، يضربون خلفها وأمامها، ولا يضيعونها.. أجزأ كل
امرئ مسلم قرنه^(٤)، وواسى أخاه بنفسه، ولم يكل قرنه إلى أخيه،
فيجمع عليه قرنه وقرن أخيه، فيكسب بذلك اللائمة، ويأتي به دناءة.
أنى هذا، وكيف يكون هذا؟ هذا يقاتل اثنين، وهذا ممسك يده، قد خلى
قرنه إلى أخيه هارباً منه، أو قائماً ينظر إليه؟ من يفعل هذا مقتته الله،
فلا تعرضوا لمقت الله، فإنما مردكم إلى الله، قال الله تعالى لقوم
عابهم:

﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٥).

وأيم الله إن فررتم من سيف الله العاجلة، لا تسلمون من سيف
لاخرة، استعينوا بالصدق والصبر، فإنه بعد الصبر ينزل النصر.

[شرح ابن أبي الحديد (١/٤٨٣)، وتاريخ الطبري (٦/٩)]



(١) أى: سهم مائر خفيف نافذ داخل في الأجسام. (٢) أى: ما يلزم حفظه وحمايته.

(٣) خفزه: أجاره ومنعه وأمنه.

(٤) قرنك: كفؤك في الشجاعة. والمراد: العدو المواجه. (٥) سورة الأحزاب: ١٦.

(١٤) خطبة أخرى للإمام علي بصفين

وخطب عليه السلام بصفين، فقال :

« الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البر والفاجر، وعلى حُججه البالغة على خلقه، من أطاعه منهم ومن عصاه، إن يرحم فبفضله ومنه، وإن عذب فبما كسبت أيديهم، وإن الله ليس بظلام للعبيد. أحمده على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، وأستعينه على ما تابنا من أمر الدنيا والآخرة، وأتوكل عليه، وكفى بالله وكيلًا. ثم إنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، فكان علمه فيه رؤوفًا رحيمًا، أكرم خلق الله حسبًا، وأجملهم منظرًا، وأسأخهم نفسًا، وأبرهم لوالد، وأوصلهم لرحم، وأفضلهم علمًا، وأثقلهم حِلْمًا، وأوفاهم لعهد، وآمنهم على عقد، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قط، بل كان يُظلم^(١) فيغفر، ويقدر فيصفح، حتى مضى - صلى الله عليه وآله - فكان ذهابه أعظم المصيبة على أهل الأرض البر والفاجر، ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله، وينهاكم عن معصيته.

وقد عهد إلى رسول الله ﷺ عهدًا، فلست أريد عنه، وقد حضركم عدوكم، وعلمتم أن رئيسهم منافق يدعوهم إلى النار. وابن عم نبيكم معكم وبين أظهركم يدعوكم إلى الجنة، وإلى طاعة ربكم، والعمل بسنة

(١) يظلم : بضم الباء وتسكين الظاء وفتح اللام.

نبيكم، ولا سواء^(١) من صلى قبل كل ذكر، لا يسبقني بصلاة مع رسول الله أحد. وأنا من أهل بدر، ومعاوية طليق. والله إننا على الحق، وإنهم على الباطل؛ فلا يجتمعن على باطلهم، وتتفرقوا عن حَقِّكم، حتى يغلب باطلهم حَقِّكم. قاتلوهم يُعذبهم الله بأيديكم، فإن لم تفعلوا يُعذبهم بأيدي غيركم.

[شرح ابن أبي الحديد (١/٥٠٣)]



(١٥) خطبة للإمام علي بعد التحكيم

وخطب الإمام علي - كرم الله وجهه - بعد فشل التحكيم، فقال :
 الحمد لله وإن أتى بالخطب الفادح^(٢)، والحدث^(٣) الجليل، وأشهد
 أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ليس معه إله غيره، وأن محمداً
 عبده ورسوله - صلى الله عليه وآله .

أما بعد.. فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب، تورث
 الحسرة، وتُعقبُ الندامة، وقد كنتُ أمرتكم في هذه الحكومة أمرى،
 ونخلتُ لكم مخزون رأى، لو كان يُطاع لقصير^(٤) أمر، فأبيتُم عليَّ

(١) أى: ولا مثل من صلى.

(٢) من فدحه الدين، أى: أثقله.

(٣) قصير، هو مولى خزيمة الأبرش، وهو مثل.

(٤) أى: الحادث.

إباءَ المخالفينَ الجفافةَ، والمنابذينَ العصاةَ، حتى ارتابَ الناصِحُ بنصحه،
وضنَّ الزندُ بقدحه، فكنْتُ وإياكم كما قال أخو هوازن^(١) :

أمرتكمُ أمرى بمنعرجِ اللوى فلمَ تستبينوا النصحَ إلا ضحى الغدِ
ألا إن هذينِ الرجلينِ اللذينِ اخترتموهما حكمينِ قد نبذا حكمَ القرآنِ
وراءَ ظهورهما، وأحييا ما أماتَ القرآنُ، واتبع كلُّ واحدٍ منهما هواه،
بغيرِ هدى من الله، فحكما بغيرِ حجة بينة، ولا سنة ماضية، واختلفا فى
حكمهما وكلاهما لم يرشدُ، فبرى الله منهما ورسوله وصالحُ المؤمنين،
استعدوا وتأهبوا للمسيرِ إلى الشامِ.

[نهج البلاغة (١/٤٤). وتاريخ الطبرى (٦/٤٣). والإمامة والسياسة

(١/١٠٥)].



(١٦) خطبة لأمير المؤمنين على عليه السلام

فى الاعتزاز بالعشيرة.. وأنها الركن الشديد

أخرج أبو الشيخ عن على عليه السلام أنه خطب فقال :
عشيرة الرجل للرجل خير من الرجل لعشيرته؛ إنه إن كفَّ يدهُ
عنهم كفَّ يداً واحدةً، وكفَّوا عنه أيدي كثيرة مع مودتهم وحفاظهم

(١) هو دريد بن الصمة.

ونصرتهم ،حتى لريما غضبَ الرجلُ للرجلِ وما يعرفه إلا بحسبه ،
وسأتلوا عليكم بذلك آياتٍ من كتابِ الله ،.. فتلا هذه الآية :

﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ (١) ..

قال على رضي الله عنه :

« والركنُ الشديدُ: العشيرة ، فلم تكن للوطِ عشيرة ، فوالذي لا إله إلا
هو: ما بعثَ الله نبياً قطُّ بعدَ لوطٍ إلا في ثروةٍ من قومه .»

وتلا رضي الله عنه هذه الآية في شعيب (عليه السلام) :

﴿ .. وَإِنَّا لَتَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا .. ﴾ (٢) ..

قال على رضي الله عنه :

« كان مكفوفاً فنسبوه إلى الضَّعْفِ .»

﴿ .. وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ .. ﴾ (٣) ..

قال على رضي الله عنه :

« فوالذي لا إلهَ غيرُه: ما هابوا جلالَ ربِّهم إلا العشيرة .»

[كذا في الكنز (١/ ٢٥٠)]



(١) سورة هود : ٨٠ .

(٢،٣) سورة هود : ٩١ .

(١٧) خطبة لأمير المؤمنين على رضي الله عنه

حول تنبيهات تتعلق بصيام شهر رمضان المبارك

أخرج الحسين بن يحيى القطان . والبيهقي ، عن الشعبي ، قال : كان على رضي الله عنه يخطب إذا حضر رمضان . ثم يقول :

« هذا الشهر المبارك الذي فرض الله صيامه ولم يفرض قيامه ..
ليحذر رجل أن يقول : أصوم إذا صام فلان ، وأفطر إذا أفطر فلان .
ألا إن الصيام ليس من الطعام والشراب ^(١) ، ولكن من الكذب
والباطل والكفر .

ألا لا تقدموا الشهر ، إذا رأيت الهلال فصوموا ، وإذا رأيتموه
فأفطروا ، فإن غم عليكم فأنتموا العدة ^(٢) .

قال : كان يقول ذلك بعد صلاة الفجر وصلاة العصر .

[كذا في الكنز (٤ / ٣٢٢)]



(١) أي: ليس فقط ... إلخ .

(٢) أي: أتموا عدة شعبان ثلاثين يوماً ، كما ورد في الحديث الشريف .

(١٨) خطبة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه

في التذكير بالموت وضرورة العمل لما بعده

أخرج الصابوني في «المائتين» وابن عساكر، عن علي رضي الله عنه أنه خطب، فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر الموت، فقال :

« عبادَ الله .. والله : الموتُ ليسَ منه قُوَّةٌ ، إنْ أقمتُم له أخذكم ، وإنْ فررتُم منه أدرككم ، فالنجاةُ النجاةُ ، والوَحَاءُ الوَحَاءُ (١) ، وراءكم طالبٌ حيثُ (٢) : القبرُ ، فاحذروا ضغظته وظلمته ووحشته . ألا وإنَّ القبرَ حفرةٌ من حفرِ النارِ أو روضةٌ من رياضِ الجنةِ . ألا وإنه يتكلمُ في كلِّ يومٍ ثلاثَ مراتٍ فيقولُ : أنا بيتُ الظلمةِ ، أنا بيتُ الدودِ ، أنا بيتُ الوحشةِ . ألا وإنَّ وراءَ ذلكَ ما هو أشدُّ منه ، نارٌ حرُّها شديدٌ ، وقعرُها بعيدٌ ، حليها حديدٌ ، وخازنُها مالِكٌ ، ليسَ اللهُ فيه (وفي لفظ: فيها) رحمةٌ . وألا وراءَ ذلكَ جنةٌ عرضُها السَّمواتُ (٣) والأرضُ أعدتُ للمتقينَ جعلنا اللهُ وإياكم من المتقينَ ، وأجارنا وإياكم من العذابِ الأليمِ .

[كذا في الكنز (٨ / ١١٠)]

[وذكر ابن كثير في البداية (٦ / ٨)] هذه الخطبة عن ابن نباتة، قال:

صعد علي رضي الله عنه - ذات يوم - المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وذكر الموت - فذكر نحوه ، وزاد بعد قوله :

(١) أي: السرعة السريعة. (٢) أي: سريع. (٣) في «الكنز»: كعرض السماء.

« أنا بيتُ الوحشة، ألا وإن وراء ذلك يومٌ يشيبُ فيه الصغيرُ، ويسكرُ فيه الكبيرُ.. ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (١) ».

وزاد في روايته :

« ثم بكى، وبكى المسلمون حوله » .



(١٩) خطبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام

في الإشارة إلى ما في الحياة الدنيا من الفتن

وأنها بالبلاء محفوفة. وبالقدر موصوفة

أخرج الدينوري، وابن عساكر، عن عبد الله بن صالح العجلي، عن أبيه قال : خطب علي بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي عليه السلام، ثم قال :

« عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَغْرُنْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ،
وَبِالْفَنَاءِ مَعْرُوفَةٌ، وَبِالْقَدْرِ مَوْصُوفَةٌ، وَكُلُّ مَا فِيهَا إِلَى زَوَالٍ، وَهِيَ مَا
بَيْنَ أَهْلِهَا دَوْلٌ وَسِجَالٌ، لَنْ يَسْلَمَ مِنْ شَرِّهَا تَزَالُهَا، بَيْنَا أَهْلُهَا فِي
رُخَاءٍ (٢) وَسُرُورٍ إِذَا هُمْ مِنْهَا فِي بَلَاءٍ وَغُرُورٍ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ،

(٢) أي : سعة في العيش.

(١) سورة الحج : ٢ .

والرخاء فيها لا يدوم، وإنما أهلها فيها أغراضٌ مستهدفة^(١) ترميهم
بسهامها، وتقصمهم بحمامها^(٢). عباد الله.. إنكم وما أنتم من هذه
الدُّنيا عن سبيلٍ من قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً، وأشد منكم
بطشاً، وأعمر دياراً، وأبعد آثاراً، فأصبحت أصواتهم هامة^(٣) خامدة
من بعد طولِ تَقْلُبِها، وأجسادهم بالية، وديارهم خالية، وآثارهم
عافية^(٤)، واستبدلوا بالقصور المشيدة^(٥)، والسُرر^(٦) والنمازق^(٧)
الممهدة: الصخور والأحجار المسنَّدة في القبور الملاطية الملحدة التي قد
بين الخراب^(٨) فناؤها، وشيد بالتراب بناؤها، فمحلها مقرب، وسكانها
مغرب، بين أهلها عمارة موحشين وأهل محلها متشاغلين لا يستأنسون
بالعمران، ولا يتواصلون تواصل الجيران، على ما بينهم من قرب
الجوار، ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم^(٩) البلاء،
وأكلتهم الجنادل^(١٠) والثرى؟ فأصبحوا بعد الحياة أمواتاً، وبعد غصارة
العيش^(١١) رُفَاتاً^(١٢).. فجمع بهم الأحباب.. وسكنوا التراب..

(١) أغراض: جمع غرض وهو الهدف.

(٢) الحمام - بكسر الحاء - الموت .. أى: تكسرهم بموتها. (٣) أى: ساكنة.

(٤) أى: ممحوة. (٥) أى: مبنية بالشيد، وهو كل ما طليت به الحوائط من جص وغيره.

(٦) جمع سرير. (٧) جمع نمرقة، أى: الوسادة.

(٨) كذا، وفي «صفة الصفوة»: بُنى على الخراب. (٩) أى: أهلكتهم.

(١٠) جمع جندل، وهو الصخر العظيم. (١١) أى: طيب العيش ولذته.

(١٢) الرفات: كل ما دُقَّ وكُسِر. والمراد: بقايا جثث الموتى.

وظعنوا^(١) فليس لهم إياب، ميهات ميهات.. ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُعْشُونَ﴾ (٢) .. فكان قد صرتم إلى ما صاروا عليه من الوحدة والبلى في دار الموتى، وارتهنتم في ذلك المضجع، وضمكم ذلك المستودع، فكيف بكم لو قد تناهت الأمور، وبعثت القبور وحصل ما في الصدور، وأوقتم للتحصيل بين يدي ملك جليل؟ فطارت القلوب لإشفاقها (٣) من سالف الذنوب، وهتكت عنكم الحجب والأسرار، فظهرت منكم العيوب والأسرار، هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ..

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾ (٤)، ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٥) .

جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه، متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله، إنه حميد مجيد .. [كذا في الكنز (٢١٩/٨) . والمنتخب (٣٢٤/٦)] وذكرها ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١٢٤/١) بطولها، وزاد في أولها : إن على بن أبي طالب رضي خطب . فقال :

(١) الظعن : السفر، والمراد : الرحيل عن الدنيا . (٢) سورة المؤمنون : ١٠٠ .

(٣) أي : لخوفها . (٤) سورة النجم : ٣١ . (٥) سورة الكهف : ٤٩ .

« الحمدُ لله ، أحمدهُ وأستعينه ، وأومنُ به وأتوكلُ عليه ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له ، وأنَّ محمداً عبدهُ ورسوله أرسله بالهدى ودينِ الحقِّ ليُزيحَ (١) بهِ علتكم ، وليوقظَ بهِ غفلتكم ، واعلموا أنكم ميتون ، ومبعوثون من بعد الموت ، وموقوفون على أعمالكم ، ومجزئون بها ، فلا تغرّبكم الحياةُ الدنيا » - فذكر نحوه .



(٢٠) خطبة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه

بعد أن شيع جنازة

أخرج أبو نعيم في [الحلية (١/ ٧٧)] عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، أن علياً رضي الله عنه شيع جنازة ، فلما وُضعت في لحدها عَجَّ أهلها (٢) وبكوا ، فقال :

« ما تبكون ؟ أما والله لو عاينوا ما عاينَ ميّتهم لأذهلتهم معاينتهم عن ميّتهم ، وإنَّ له فيهم لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحدٌ . ثم قام فقال : «أوصيكم - عباد الله - بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثالَ ووَقَّتَ لكم الآجالَ ، وجعلَ لكم أسماعاً تَعِي ما عَنَّاها ، وأبصاراً لتجلوا عن غشاها ، وأفئدةً تَقْهَم ما دهاها في تركيبِ صورها ، وما أَعمرها ،

(٢) أي: رفعوا أصواتهم بالبكاء.

(١) أي: ليزيل به.

فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَلَمْ يَضْرِبْ عَنْكُمْ الذُّكْرَ صَفْحًا، بَلْ أَكْرَمَكُمْ
 بِالنَّعْمِ السَّوَابِغِ (١)، وَأَرْفَدَكُمْ بِأَوْفَرِ الرِّوَاغِدِ (٢)، وَأَحَاطَ بِكُمْ الْإِحْصَاءَ،
 وَأَرَصَدَ لَكُمْ الْجَزَاءَ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَجِدُّوا فِي
 الطَّلِبِ، وَبَادِرُوا بِالْعَمَلِ مَقْطَعِ النَّهْمَاتِ (٣)، وَهَادِمِ اللَّذَاتِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا
 لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا، وَلَا تَوْمَنُ فِجَانُهَا، غُرُورَ حَائِلٍ، وَشِبَعِ فَائِلٍ (٤)،
 وَسَنَادِ مَائِلٍ، يَمْضَى مُسْتَطَرَفًا، وَيُرْدَى مُسْتَرْدَفًا بِاتْعَابِ شَهَوَاتِهَا، وَخَتَلِ
 تَرَاضِعِهَا، اتْعَظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعَبْرِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْآيَاتِ وَالْأَثَرِ، وَازْدَجِرُوا
 بِالنُّذُرِ، وَانْتَفِعُوا بِالْمَوَاعِظِ، فَكَأَنَّ قَدْ عَلَقْتُمْ مَخَالِبَ (٥) الْمَنِيَّةِ، وَضَمَّكُمْ
 بَيْتَ التَّرَابِ، وَدَهَمْتُمْ مَفْطَعَاتِ الْأُمُورِ بِنَفْخَةِ الصُّورِ، وَبَعَثْتُمْ الْقُبُورِ،
 وَسِيَاقَةَ الْمُحْشَرِ، وَمَوْقِفِ الْحَسَابِ بِإِحَاطَةِ قُدْرَةِ الْجِبَارِ، كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا
 سَانِقٌ يَسُوقُهَا لِمُحْشَرِهَا، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا ﴿ وَأَشْرَقَتْ
 الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوَضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ
 بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٦)، فَارْتَجَتْ (٧) لِذَلِكَ الْيَوْمِ الْبِلَادُ،
 وَنَادَى الْمَنَادِ، وَكَانَ يَوْمَ التَّلَاقِ، وَكُشِفَ عَنِ سَاقِ، وَكُشِفَتِ الشَّمْسُ،

(١) أى: الكاملة.

(٢) أى: الحاجات، والمراد من مقطع النهمة وهادم اللذات: الموت.

(٣) أى: ضعيف.

(٤) جمع مخلب، وهو لسباع الطيور والبهائم بمنزلة الظفر للإنسان. (٦) سورة الزمر: ٦٩.

(٧) اضطربت.

وَحُشِرَتِ الْوُحُوشُ مَكَانَ مَوَاطِنِ الْحَشْرِ، وَبَدَتِ الْأَسْرَارُ، وَهَلَكَتِ الْأَشْرَارُ،
 وَارْتَجَّتِ الْأَفْنَدَةُ، فَنَزَلَتْ بِأَهْلِ النَّارِ مِنَ اللَّهِ سَطْوَةٌ مُجِيبَةٌ (١)، وَعَقُوبَةٌ
 مُنِيعَةٌ، وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لَهَا كُتُبٌ وَلُجْبٌ (٢)، وَقَصِيفٌ (٣) رَعْدٍ، وَتَغِيظٌ
 وَوَعِيدٌ، تَأْجَجُ جَحِيمُهَا، وَغَلَى حَمِيمُهَا، وَتَوَفَّدَ سَمُومُهَا فَلَا يَنْفَسُ
 خَالِدَهَا، وَلَا تَنْقَطِعُ حَسْرَاتُهَا، وَلَا يَقْصُمُ كَبُولُهَا، مَعَهُمْ مَلَائِكَةٌ يَبْشُرُونَهُمْ
 بِنَزْلِ مَنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةِ جَحِيمٍ، عَنِ اللَّهِ مُحْجُوبُونَ، وَأَوْلِيَاءُهُ مَفَارِقُونَ،
 وَإِلَى النَّارِ مُنْطَلِقُونَ. عِبَادَ اللَّهِ .. اتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَةً مَنْ كَنَعَ (٤) فَخَنَعَ (٥)،
 وَوَجَلَ (٦) فَرَحَلَ، وَحَذَرَ فَأَبْصَرَ فَازْدَجَرَ (٧)، فَاحْتَثَّ (٨) طَلِبًا، وَنَجَا
 هَرَبًا، وَقَدَّمَ لِلْمَعَادِ، وَاسْتَظْهَرَ بِالزَّادِ، وَكَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِمًا وَبَصِيرًا، وَكَفَى
 بِالْكِتَابِ خَصْمًا وَحَجِيجًا، وَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَابًا، وَكَفَى بِالنَّارِ وَبِالْأَ
 وَعِقَابًا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ..



(٢) أى: صوت وجلبة مع اختلاط.

(٤) أى: خضع ولان.

(٦) وجل: خاف.

(٨) أى: أسرع.

(١) أى: مهلكة.

(٣) أى: صوت هائل.

(٥) أى: ذل.

(٧) أى: كف نفسه.

ومن مواعظ أمير المؤمنين

على بن أبي طالب رضي الله عنه

أخرج ابن عساکر، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال عمر لعلي رضي الله عنه :
عظني يا أبا الحسن . قال :

« لا تجعل يقينك شكاً، ولا علمك جهلاً، ولا ظنك حقاً، واعلم أنه
ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت، وقسمت فسويت، ولبست
فأبليت . . »

قال : صدقت يا أبا الحسن .

[كذا في الكنز (٨ / ٢٢١)]

وأخرج البيهقي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لعمر رضي الله عنه :

« يا أمير المؤمنين: إن سرَّكَ أن تلحقَ بصاحبيك فأقصرَ الأملَ، وكلُّ
دونَ الشُّبُعِ، وأقصرَ الإزارَ، وارفعِ القميصَ، واخْصِفِ النعلَ تلحقُ
بهما . »

[كذا في الكنز (٨ / ٢١٩)]

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن علي رضي الله عنه قال :

« ليس الخيرُ أن يكثرَ مالكَ وولدكَ، ولكنَّ الخيرَ أن يكثرَ علمكَ،
ويعظمَ حلمكَ، وتباهى بعبادةِ ربكَ، فإن أحسنتَ حمدتَ اللهَ، وإن أسأتَ
استغفرتَ اللهَ، ولا خيرَ في الدنيا إلا لأحدِ رجلينِ : رجلٍ أذنبَ ذنباً فهو

يتدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقلُّ عملٌ في تقوى؛ وكيف يقلُّ ما يتقبل.

وأخرج ابن عساكر في «أماليه» - عن علي رضي الله عنه - نحوه.

[كما في الكنز (٨ / ٢٢١)]

وأخرج ابن عساكر، عن عقبة بن أبي الصهباء، قال :

« لما ضرب ابن ملجم علياً رضي الله عنه دخل عليه الحسن رضي الله عنه وهو باك، فقال له: ما يبكيك يا بني؟ . قال: وما لي لا أبكي وأنت في أول يوم من الآخرة، وآخر يوم من الدنيا. فقال: « يا بني .. احفظ أربعاً وأربعاً لا يضرُّك ما عملتَ معهنَّ. قال: وما هنَّ يا أبت؟ . قال: إنَّ أغنى الغنى العقلُ وأكبر الفقر الحمقُ، وأوحش الوحشة العجبُ، وأكرم الكرم حُسنُ الخلق. قال: قلتُ: يا أبت .. هذه الأربع فأعلمني الأربع الأخر. قال: وإياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرُّك، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يُقربُ عليك البعيد، ويبعدُ عليك القريب، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يبعدُ عنك أحوج ما تكونُ إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه. »

[كذا في الكنز (٨ / ٢٣٦)]

وعند البيهقي، وابن عساكر، عن علي رضي الله عنه أنه قال :

« التوفيقُ خيرُ قائدٍ، وحسنُ الخلقِ خيرُ قرينٍ، والعقلُ خيرُ صاحبٍ،
والأدبُ خيرُ ميراثٍ، ولا وحشةَ أشدَّ من العُجبِ . . »

[كذا في الكنز (٨ / ٢٣٦)]

وأخرج ابن السمعاني في «الدلائل»، عن علي رضي الله عنه، قال :

« لا تنظرُ إلى مَنْ قالَ ، وانظرُ إلى ما قالَ . . »

وعنده أيضاً عن علي رضي الله عنه أنه قال :

« كلُّ إخاءٍ منقطعٌ إلا إخاءَ كانَ علي غيرِ الطَّمعِ . . »

[كذا في الكنز (٨ / ٢٣٦)]



من وصايا علي عليه السلام (١) :

وصيته .كرم الله وجهه .لابنه الحسن عليه السلام

فقد روى عن الحسن بن علي عليه السلام أنه قال :

« أوصاني أبي عليه السلام قبل موته بثلاثين خصلة ، قال :

يا بُنَيَّ (٢) .. إِنَّ أَنْتَ عَمَلْتَ بِهَا فِي الدُّنْيَا سَلَّمَكَ اللَّهُ مِنْ شَرِّ الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ . قال : قلتُ : وما هي يا أبه (٣) ، فقال :

احذِرْ مِنَ الْأُمُورِ ثَلَاثًا ، وَخَفْ ثَلَاثًا ، وَارْجُ ثَلَاثًا ، وَوَأْفِقْ ثَلَاثًا ،
وَاسْتَحْيَ مِنْ ثَلَاثٍ ، وَافزَعْ إِلَى ثَلَاثٍ (٤) ، وَشَحَّ (٥) عَلَى ثَلَاثٍ ، وَتَخَلَّصْ
إِلَى ثَلَاثٍ ، وَاهْرَبْ إِلَى ثَلَاثٍ ، وَجَانِبْ ثَلَاثًا : يَجْمَعُ اللَّهُ لَكَ حُسْنَ
السَّيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فَأَمَّا الَّذِي أَمَرْتُكَ أَنْ تَحذِرَ : فَاحذِرِ الْكِبْرَ وَالغَضَبَ وَالطَّمَعُ ، فَأَمَّا
الْكِبْرُ : فَإِنَّهُ خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الْأَشْرَارِ . وَالْكِبْرِيَاءُ (٦) رِذَاءُ اللَّهِ - عَزَّ
وَجَلَّ - وَمَنْ أَسْكَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ كِبْرٍ أوردته النَّارَ . وَالغَضَبُ

(١) كما جاء في كتاب « دستور معالم الحكم » للإمام القضاعي - رحمة الله عليه .

(٢) بنى : تصغير ابن .

(٣) يا أبه - بالهاء - ويقال في النداء أيضاً : يا أبت - بفتح التاء ، أو كسرهما - وبأبناؤه ، وبأباه

.. كلها بمعنى : يا أباي . (٤) أى : التجئ إليهن وتحصن بهن .

(٥) أى : ابخل ، والمراد : ابعذ عنها واجتنبها .

(٦) الكبرياء : العظمة ، وهي من الصفات التي قد خص الله تعالى بها نفسه ، فلا يتصف بها غيره .

يُسْفَهُ الْحَلِيمَ ، وَيُطِيشُ الْعَالِمَ ، وَيُفْقِدُ مَعَهُ الْعَقْلَ ، وَيُظْهِرُ مَعَهُ الْجَهْلَ .
وَالطَّمَعُ فِتْحٌ مِنْ فِخَاخِ إِبْلِيسَ ، وَشَرَكٌ مِنْ عَظِيمِ احْتِبَالِهِ ، يَصِيدُ بِهِ
الْعُلَمَاءَ وَالْعُقَلَاءَ وَأَهْلَ الْمَعْرِفَةِ وَذَوِي الْبَصَائِرِ .

قال : قلتُ : صدقتَ يا أبه .. فأخبرني عن قولك : خَفُ ثَلَاثًا .

قال : نَعَمْ يَا بُنَيَّ .. خَفِ اللَّهَ ، وَخَفْ مَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ ، وَخَفْ
لِسَانَكَ فَإِنَّهُ عَدُوٌّكَ عَلَى دِينِكَ : يُؤْمِنُكَ اللَّهُ جَمِيعًا مَا خَفْتَهُ (١) .

قال : صدقتَ يا أبه .. فأخبرني عن قولك : وَارْجُ ثَلَاثًا .

قال : يَا بُنَيَّ .. ارْجُ عَفْوَ اللَّهِ عَنْ ذُنُوبِكَ ، وَارْجُ مُحَاسِنَ عَمَلِكَ ،
وَارْجُ شَفَاعَةَ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قلتُ : صدقتَ يا أبه .. فأخبرني عن قولك : وَوَافِقُ ثَلَاثًا .

قال : نَعَمْ .. وَوَافِقُ كِتَابِ اللَّهِ ، وَوَافِقُ سُنَّةِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَوَافِقُ
مَا يُوَافِقُ الْحَقَّ وَالْكِتَابَ .

قلتُ : صدقتَ يا أبه .. فأخبرني عن قولك : اسْتَحْيِ مِنْ ثَلَاثٍ .

قال : نَعَمْ يَا بُنَيَّ .. اسْتَحْيِ مِنْ مِطَالَعَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ وَأَنْتَ مَقِيمٌ عَلَى
مَا يَكْرَهُ ، وَاسْتَحْيِ مِنَ الْحِفْظَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ ، وَاسْتَحْيِ مِنْ صَالِحِ
الْمُؤْمِنِينَ .

قلتُ : صدقتَ يا أبه .. فأخبرني عن قولك : افْرَعْ إِلَى ثَلَاثٍ .

(١) أي: احذر عثراته، ولا تجعل له عليك سلطانًا.

قال : نعم، افزعْ إلى الله في ملأتِ أموركَ (١)، وافزعْ إلى التوبةِ في مساوئِ عملِكَ (٢)، وافزعْ إلى أهلِ العلمِ وأهلِ الأدبِ .

قلتُ : صدقتَ يا أبه .. فأخبرني عن قولك : شحَّ على ثلاثِ .

قال : نعم، شحَّ على عمرِكَ أنْ تفنيه مما هو عليكَ لا لكَ، وشحَّ على دينِكَ ولا تبدله للغضبِ، وشحَّ على كلامِكَ إلا ما كان لكَ ولا عليكَ .

قلتُ : صدقتَ يا أبه .. فأخبرني عن قولك : تخلَّصْ إلى ثلاثِ .

قال : نعم يا بُنَيَّ .. تخلَّصْ إلى معرفتِكَ نفسك وإظهارِ عيوبها، ومقتك إياها، وتخلَّصْ إلى تقوى الله، ثم تخلَّصْ إلى إخمالي نفسك (٣)، وإخفاءِ ذكركَ (٤) .

قلتُ : صدقتَ يا أبه .. فأخبرني عن قولك : واهربْ من ثلاثِ .

قال : نعم يا بُنَيَّ .. اهربْ من الكذبِ، واهربْ من الظالمِ وإنْ كان ولدكَ أو والدكَ، واهربْ من مواطنِ الامتحانِ التي يحتاجُ فيها إلى صبرِكَ .

قلتُ : صدقتَ يا أبه .. فأخبرني عن قولك : جانبِ ثلاثا .

قال : نعم يا بُنَيَّ .. جانبِ هوكِ وأهلِ الأهواءِ، وجانبِ الشرِّ وأهلِ الشرِّ، وجانبِ الحمقى وإنْ كانوا متقربين .. والسلام .



(١) أي: فيما نزل بك من الشدائد.

(٢) في مساوئِ عملِكَ، أي: في عيوبه.

(٣) أي: إلى قعودها عن الافتخار والتعظيم وحب الرياسة.

(٤) أي: إخفاء شهرتك بين الناس حتى تسلم من حقدهم عليك وحسدهم لك.

ووصيته (كرم الله وجهه) لابنه الحسن رضي

لما ضربه ابن ملجم

فقد دخل عليه الحسن رضي وهو باك. فقال له : ما يبكيك يا بني ؟ .
فقال له : ما لي لا أبكي وأنت في أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من
أيام الدنيا !.. فقال له :

« يا بُنَى .. احفظ عَنِّي أربَعًا وأربَعًا ؛ لا يضرُكَ - ما عملتَ بهنَّ -
شيءٌ .»

قلتُ : وما هنَّ يا أبه ؟

قال : إنَّ أغنىَّ الغنىِّ العقلُ ، وأكثرَ الفقرِ الحمقُ ، وأوحشَ الوحشةِ
العُجبُ ، وأكرمَ الحسبِ حُسْنُ الخُلُقِ .

قلتُ : يا أبه .. هذه أربَع ؛ فأعطني الأربَع .

قال : يا بُنَى .. إِيَّاكَ ومصادقةَ الأحمقِ (١) فإنه يريدُ أنْ ينفَعَكَ
فِيضْرُكَ . وإِيَّاكَ ومصادقةَ الكذابِ ، فإنه يُقَرِّبُ عَلَيْكَ البعيدَ ، وَيُبَعِّدُ عَلَيْكَ
القريبَ . وإِيَّاكَ ومصادقةَ البخيلِ ، فإنه يَقَعِدُ بِكَ عَنْ أَحوجِ ما تكونُ
إليه . وإِيَّاكَ ومصادقةَ الفاجرِ ، فإنه يبيِعُكَ في نفاقهِ (٢) . .



(١) أى: إياك ومصادقة الجاهل .. لأنه لا يعرف طريق النفع لنفسه فكيف يعرفه لغيره ويهديه
سبيل الرشاد؟! .

(٢) فى نفاقه، أى: فى رواجه.

ووصيته الجامعة لمكارم الأخلاق

التي أوصى بها ولده محمد بن الحنفية رضي الله عنه

فقد قال الإمام علي - كرم الله وجهه - في تلك الوصية :

« يا بُنَيَّ .. أوصيكَ بتقوى الله - عزَّ وجلَّ - في الغيبِ والشهادة ،
وكلمةِ الحقِّ في الرضا والغضبِ ، والقصدِ في الفقرِ والغنى ، والعدلِ
على الصديقِ والعدوِّ ، والعملِ في النشاطِ والكسلِ ، والرضا عن الله - عزَّ
وجلَّ - في الشدةِ والرخاءِ .

يا بُنَيَّ .. ما شرَّ بعده الجنةُ شرَّ .. ولا خيرَ بعده النارُ خيرٌ .. وكلُّ
نعيمٍ دون الجنةِ حقيرٌ .. وكلُّ بلاءٍ دون النارِ عافيةٌ .

واعلم يا بُنَيَّ أنَّ مَنْ أَبْصَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ شَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ، وَمَنْ
رَضِيَ بِقَسَمِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ ،
وَمَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ بِنْرًا وَقَعَ فِيهَا ، وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَ أَخِيهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ
بْنِيهِ ، وَمَنْ نَسِيَ خَطِيئَتَهُ اسْتَعْظَمَ خَطِيئَةَ غَيْرِهِ ، وَمَنْ كَابَرَ الْأُمُورَ
عَطِبَ ، وَمَنْ اقْتَحَمَ الْبَحْرَ غَرِقَ ، وَمَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ ، وَمَنْ اسْتَغْنَى
بِعَقْلِهِ زَلَّ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ ، وَمَنْ سَفَهَ عَلَيْهِمْ شَتَمَ ، وَمَنْ
سَلَكَ مَسَالِكَ السُّوءِ اتَّهَمَ ، وَمَنْ خَالَطَ الْأَنْذَالَ حَقَّرَ ، وَمَنْ جَالَسَ الْعُلَمَاءَ
وَقُرَّ ، وَمَنْ مَزَحَ اسْتَخَفَّ بِهِ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ ، وَمَنْ كَثَرَ
كَلَامَهُ كَثَرَ خَطْوُهُ ، وَمَنْ كَثَرَ خَطْوَهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ
وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ .

يا بُنَىَّ .. مَنْ نَظَرَ فِي عِيُوبِ النَّاسِ ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَاكَ هُوَ
الْأَحْمَقُ بَعِينُهُ، وَمَنْ تَفَكَّرَ اعْتَبِرَ، وَمَنْ اعْتَبَرَ اعْتَزَلَ، وَمَنْ اعْتَزَلَ سَلِمَ،
وَمَنْ تَرَكَ الشَّهَوَاتِ كَانَ حُرًّا، وَمَنْ تَرَكَ الْحَسَدَ كَانَتْ لَهُ الْمَحَبَّةُ عِنْدَ
النَّاسِ.

يا بُنَىَّ .. عِزُّ الْمُؤْمِنِ غِنَاهُ عَنِ النَّاسِ، وَالْقِنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ، وَمَنْ
أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ
عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامَهُ إِلَّا فِيمَا يَعْينُهُ، الْعَجَبُ مِنْ خَافِ الْعِقَابِ فَلَمْ يَكْفِ
وَرَجَا الثَّوَابَ فَلَمْ يَعْمَلْ. الْفِكْرُ نُورٌ، وَالْغَفْلَةُ ظِلْمَةٌ، وَالْجِهَالَةُ ضَلَالَةٌ،
وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعَظَ بغيرِهِ. الْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرُ قَرِينٍ.

يا بُنَىَّ .. لَيْسَ مَعَ الْقَطِيعَةِ نَمًا (١)، وَلَا مَعَ الْفَجُورِ غِنَى.

يا بُنَىَّ .. الْعَافِيَةُ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ، تَسَعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ إِلَّا عَنْ ذِكْرِ
اللَّهِ تَعَالَى، وَوَاحِدٌ فِي تَرْكِ مَجَالِسَةِ السُّفْهَاءِ. وَمَنْ تَزَيَّنَ بِمَعَاصِي اللَّهِ
فِي الْمَجَالِسِ أَوْرَثَهُ اللَّهُ ذَلًّا، وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ عُلِمَ.

يا بُنَىَّ .. رَأْسُ الْعِلْمِ الرَّفْقُ، وَأَقْتَهُ الْحَذَقُ (٢)، وَمِنْ كُنُوزِ الْإِيمَانِ
الصَّبْرُ عَلَى الْمَصَانِبِ. الْعَفَافُ زِينَةُ الْفُقَرَاءِ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْأَغْنِيَاءِ.

يا بُنَىَّ .. أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ، وَأَفْقَرُ الْفَقْرِ الْحَمَقُ، وَأَوْحَشُ الْوَحْشَةِ

(١) أى: ثناء.

(٢) يقال: تحذلق الرجل - بزيادة اللام - إذا أظهر الحذق قاعدي أكثر مما عنده.

العُجْبُ، وأكرمُ الحَسَبِ حَسَنُ الخَلْقِ. إياكَ ومصادقةَ الأحمقِ فإنه يريدُ
أنْ ينفَعَكَ فيضُرَّكَ. وإياكَ ومصادقةَ الكذَّابِ فإنه يُقَرِّبُ إليكَ البعيدَ
ويُبَعِّدُ عنكَ القريبَ. وإياكَ ومصادقةَ البخيلِ فإنه يَبْعُدُ عنكَ أحوَجَ ما
تكونُ إليه. وإياكَ ومصادقةَ الفاجرِ فإنه يبيِعُكَ بالتافِه.

يا بُنَى.. كثرةُ الزيارةِ تورثُ المَلالَ، والطمأنينةُ قبلَ الخبرةِ ضدُّ
الحِزْمِ، وإعجابُ المرءِ بنفسه دليلٌ على ضعفِ عقله.

يا بُنَى.. كمَ نظرةٍ جلبتُ حَسرةً، وكمَ كلمةٍ سلبتُ نعمةً. لا شرفَ
أعلى من الإسلامِ، ولا كرمَ أعزُّ من الزهدِ، ولا معقلَ أحرزُ (١) من
الورعِ، ولا لباسَ أجملُ من العافيةِ، ولا مالَ أذهبُ للفاقةِ (٢) من
الرِّضَا بالقوتِ، ومنِ اقتصرَ على بلغةِ الكفافِ (٣) تعجَّلَ الراحةَ.

يا بُنَى.. الحرصُ مفتاحُ التعبِ، ومطيةُ النَّصبِ، وداعٌ إلى اقتحامِ
الذنوبِ، والشرةُ جامعٌ لمساوئِ العيوبِ، وكفاكُ أدباً لنفسك ما كرهته
لغيرك. لأخيك عليك مثلُ الذي لك عليه. ومن تورطَ في الأمورِ من
غيرِ تبصُّرٍ في الصوابِ فقد تعرَّضَ لفدحاتِ النوائبِ. التدبيرُ قبلَ العملِ
يؤمِّنكَ الندمَ. من استقبلَ وجوهَ الآراءِ عرفَ مواقعَ الخطأِ.

(١) معقل - بوزن مسجد - أي: ملجأ. والحرز: المكان الذي يحفظ فيه.

(٢) الفاقة: الفقر. (٣) بلغة الكفاف: ما يتبلغ به من العيش.

يا بُنَيَّ! البخلُ جلبابُ المسكنة، والحرصُ علامةُ الفقرِ، وَصُولُ (١)
معدّمٌ خَيْرٌ مِنْ جافٍ مكثرٍ. لكلِّ شيءٍ قوتٌ، وابنُ آدمَ قوتُ الموتِ.

يا بُنَيَّ.. لا تَوَيْسَنَّ (٢) مذنباً على ذنبه، فكم عاكفٍ على ذنبٍ
خُتِمَ له بالخيرِ، وكم مقبلٍ على عمله أفسدهُ في آخرِ عمره فصارَ إلى
النارِ.

يا بُنَيَّ.. في خلافِ النفسِ رشدها (٣)، والساعاتُ تنقصُ الأعمارَ..



وقد رُوِيَ أن علياً - كرم الله وجهه - كان يترنم (٤) بالأبيات الآتية:

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَاقٌ مُطَهَّرَةٌ فَالْعَقْلُ أَوْلُهَا وَالذِّينُ ثَانِيهَا
وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْحِلْمُ رَابِعُهَا وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالْعُرْفُ سَادِسُهَا (٥)
وَالْبِرُّ سَابِعُهَا وَالصَّبْرُ ثَامِنُهَا وَالشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَالنِّينُ عَاشِيَهَا (٦)
وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنِي مُحَدِّثُهَا إِنْ كَانَ مِنْ حَزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا
وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أَصَدِّقُهَا وَلَسْتُ أَرْشُدُ إِلَّا حِينَ أَعْصِيهَا



(١) وصول: كثير المواصلة مع الناس.

(٢) لا تويسن: لا توقعنه في اليأس من رحمة الله.

(٣) رشدها أي: صلاحها.

(٤) أي: كان يردد صوته وهو ينشد. (٥) لغة في «سادسها». (٦) لغة في «عاشرها».

ووصيته (كرم الله وجهه)

لابن عباس رضي الله عنهما

قال ابن عباس رضي الله عنهما :

ما انتفعتُ بشيء - بعد النبي صلى الله عليه وسلم - انتفاعي بكلمات كتبهنَّ إلى
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .. كتب إلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. أما بعد .. فإن المرءَ يفرحُ بإدراك ما
لم يكن ليفوته، ويغتمُّ لفوت ما لم يكن ليدركه، فإذا أتاك اللهُ من
الدنيا شيئاً فلا تكثرنَّ به فرحاً. وإذا منعك منها فلا تكثرنَّ عليها حزناً.
وليكن همك لما بعد الموت .. والسلام .. »



ووصيته (كرم الله وجهه)

لكميل بن زياد

فمن عبد الرحمن بن جندب ، عن كميل بن زياد ، قال :

أخذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي فأخرجني إلى ناحية
الجبَّان (١) فلما أصحرت (٢) تنفس صعداً (٣)، ثم قال :

(٢) أصحرت، أي: خرج إلى الصحراء.

(١) أي: إلى جهة الصحراء.

(٣) تنفس صعداً، الصعداء: التنفس الطويل.

« يا كميل .. إن هذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها للعمل .. احفظ
عنى ما أقول لك : الناس ثلاثة : عالم ريانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ،
وهمج رعاع^(١) أتباع كل ناعق غاو ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا
بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق .

يا كميل .. العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ،
والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق .

يا كميل .. محبة العالم دين يدان به ، يكسبه العلم الطاعة لربه .
عز وجل . فى حياته ، وجميل الأحداث بعد وفاته ، ومنفعة المال تزول
بزواله .. والعلم حاكم والمال محكوم عليه .

يا كميل .. مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى
الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة . ها إن ها هنا
لعلماً جمًا^(٢) . وأشار إلى صدره . لو أصبت له حملة . اللهم بلى
أصبته لقنًا^(٣) غير مأمون ، يستعمل آلة الدين فى الدنيا ، ويستظهر
بجج الله^(٤) على أوليائه ، وبنعمه على كتابه ، أو منقاداً لحملة
الحق ، لا بصيرة له فى إحيائه^(٥) ، يقدح الشك فى قلبه بأول

(١) الرعاع : أوغاد الناس .

(٢) علماً جمًا : علماً كثيراً .

(٣) اللقن : هو السريع الفهم ، يعنى أنه وجد حاملاً للعلم سريع الفهم له . لكنه غير مأمون على

(٤) أى : يستعين بها .

العلم .

(٥) أى : تابعاً لأهل الحق ، ولكن ليس عن تفكر وتدبر وتيقن وبصيرة .

عارضٍ من شبهة . اللهم لا ذا ولا ذاك .. أو منهوماً (١) بالذاتِ سلسِ
القيادِ (٢) للشهواتِ أو مغرمًا بجمعِ الأموالِ والادخارِ ليساً من رعاةِ
الدينِ ، أقربُ شَبْهاً بهما الأنعامُ السائمةُ (٣) ، كذلك يموتُ العلمُ بموتِ
حاملته . اللهم بلى لَنْ تَخْلُوَ الأرضُ مِنْ قائمِ اللهِ بحجةٍ إما ظاهراً مشهوراً
وإما خائفاً مغموراً (٤) كى لا تبطلَ حججُ اللهِ وبيئاته ، وكمّ وأين أولئك
الأقْلُونِ عدداً ، الأعظمونَ عندَ اللهِ قَدْرًا . بهم يحفظُ اللهُ حُجَجَهُ حتى
يُودِعَهَا نُظراءَهُم ، ويُودِعُوهَا فى قلوبِ أشباههم . هجمَ بهم العلمُ على
حقيقةِ الإيمانِ ؛ فباشروا روحَ اليقينِ ، واستسهلوا ما استوعرَ منه
المترفونَ (٥) وأنسوا بما استوحشَ منه الجاهلونَ ، وصحبوا الدنيا
بأبدانِ أرواحها معلقةٌ بالمحلِّ الأعلى .

أولئك خُلفاءُ اللهِ فى أرضه ، الدعاةُ إلى دينه .. هاه .. شوقاً (٦)
إلى رؤيتهم .. وأستغفرُ اللهُ لى ولك .
يا كميلُ .. إذا شئتَ فقمُ .



(١) أى: مولماً بها منهمكاً فيها . (٢) أى: سهل الانقياد .

(٣) أى: الراعية . (٤) مغمور : خامل بين الناس . (٥) المترفون: المتنعمون .

(٦) هاه شوقاً : لفظ «هاه» معناه: حكاية ضحك الضاحك ، والمراد أنه يسره النظر إلى وجوه
هؤلاء الداعين إلى دين الله - عز وجل .

استشهاد علي رضي الله عنه

وظل علي رضي الله عنه - طوال مدة خلافته - يؤدي دوره على أكمل وجه ، إلى أن استشهد بأيدي الخوارج في ليلة الجمعة الموافقة للسابع عشر من رمضان سنة ٤٠ هـ ، بعد فتنة كبيرة بينه وبين معاوية ، اشترك فيها بعض كبار الصحابة . بعد مقتل عثمان بن عفان - عليه رضوان الله .

وكان علي رضي الله عنه هو الخليفة الشرعي للمسلمين . وكان معاوية بن أبي سفيان (والي الشام) معارضاً لخلافة علي ؛ لأنه كان يعتقد أن لعلي بن أبي طالب يداً في قتل عثمان .

وذلك لأن بعض الناس قد حملوا إلى معاوية بالشام قميص عثمان ملطخاً بدمائه، ومعه إحدى كفيه التي قطعها سيوف القتلة السفهاء ، ومعه - كذلك - إصبع من أصابع زوجته نائلة . التي قطعها ضربة سيف من أحد الثوار - وهي تدافع عن زوجها رضي الله عنه .

واستغل معاوية هذا القميص . فعلقه - هو والكف والإصبع - على سارية عالية بأحد ميادين دمشق .

ولما رأى المسلمون قميص عثمان؛ غلّى الحقد في نفوسهم، وصمّموا علي قتال علي !!

ووقعت الحرب - فعلاً - بين علي ومعاوية . واستمرت مدة طويلة ..

إلى أن اتفق ثلاثة في الكوفة - من الخارجين على الإمام على - على قتل عمرو بن العاص والى مصر ، ومعاوية بن أبي سفيان والى الشام ، وعلى قتل الخليفة على بن أبي طالب - على أن يقوم كل واحد منهم بقتل واحد من هؤلاء الثلاثة.

وعند التنفيذ نجا عمرو بن العاص من القتل، وأما معاوية فقد أصابه سهم في فخذه ، ولكنه شفى من جراحه.

أما على رضي الله عنه، فقد قتله عبد الرحمن بن ملجم بضربه قاضية بالسيف عندما خرج لصلاة الفجر.

وقبض الناس على القاتل .. وحملوا علياً جريحاً إلى داره ، واجتمع حوله بعض المسلمين، فقال لهم (وهو يعالج سكرات الموت) :

« عليكم سلام الله ، كنت بالأمس صاحبكم ، وأنا اليوم أفارقكم ، فإن عشت أخذت ثأرى بيدي ، وإن مت فإلقيامة ميعادى ، والعفو أقرب للتقوى » .

ثم سأل عن قاتله ، فأحضره له .. ولما نظر إليه قال له :

« أهو أنت ؟ .. لطالما أحسنت إليك !! » .

ثم التفت إلى بنيه وأهله ، وقال لهم :

« لا تعدبوا قاتلى .. أحسنوا نزلهُ .. وأكرموا مثواه ، فإن عشت

فَسَأَقْتَلَهُ بِيَدِي، وَإِنْ مَاتُ فَاقْتُلُوهُ بِضَرْبَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا تَقْتُلُوا أَحَدًا مِنْ بَنِيهِ أَوْ أَهْلِهِ، وَلَا تَعْتَدُوا؛ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ..

ثم أغمض عينيه .. وأسلم الروح للخالق العظيم .. فسلام عليه في جنات النعيم ، مع النبيين والصّديقين والشهداء والصالحين .. إلى يوم الدين .



(هذا) .. وقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . هو خامس الخلفاء الراشدين - كما اتفق على ذلك الصالحون - لأنه رضي الله عنه كان يسير على طريقتهم ، ويعدل بين رعاياه مثلهم . حتى قيل إن الذئب في عصره كان يقف بجوار الشاة فلا يؤذيها !!^(١) ..

ولذلك فقد رأيت - في ختام هذا العرض المبارك - أن أسوق إليكم إحدى وعشرين خطبة من خطبه . وبعض مواعظه ووصاياه ..



(١) ويوم أن أكل الذئب الشاة. قالوا : مات أمير المؤمنين.